محمد صلى الله عليه وسلم بالعلم في مواضع كقوله تعالى وانزل الله عليك الكتاب
والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وامره ان يسأل ربه
ان يزيده علما فقال وقل رب زدني علما وكان صلى الله عليه وسلم يقول انا اعلمكم
بالله واشدكم له خشية وامتن الله تعالى علينا ان بعث فينا هذا الرسول صلى
الله عليه وسلم الذي يعلمنا مالم نكن نعلم وامرنا بشكر هذه النعمة كما قال تعالى كما
ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما
لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون واخبر سبحانه انه انما خلق
السموات والارض ونزل الامر الا لتعلم ان الله قدرته وعلمه فيكون دليلا على معرفته و
معرفة صفاته كما قال تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل
الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما
ومدح في كتابه العلما في مواضع كثيرة وقد سبق ذكر بعضها واخبر انه انما يخشاه
من عباده العلما وهم العلما به قال ابن عباس في قوله تعالى انما يخشى الله من
عباده العلما قال انما يخافني من عبادي من عرف جلالي وكبريائي وعظمتي وقال
العلم العلم بالله وهو العلم باسمائه وصفاته وافعاله التي توجب لصاحبها معرفة
الله وخشيته ومحبته وهيبته واجلاله وعظمته والتبتل اليه والتوكل عليه
والرضا عنه والاشتغال به دون خلقه وتتبع ذلك العلم بملائكته وكتبه
ورسله واليوم الآخر وتفاصيل ذلك والعلم بأوامر الله ونواهيه وشرائعه
واحكامه وما يحبه من عباده من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة وما يكره
من عباده من الاقوال الظاهرة والباطنة ومن جمع هذه العلوم فهو من العلما
الربانيين العلما بالله العلما بأمر الله وهم اكمل من قصر علمه على العلم بالله دون
العلم بأمره وبالعكس وشاهد هذا النظر في حال الحسن وابن المسيب والثوري
واحمد وغيرهم من العلماء الربانيين وحال مالك بن دينار والفضيل بن عياض و
معروف وبشر وغيرهم من العارفين ممن قايس بين الحالين عرف فضل
العلما بالله وبأمره على العلما بالله فقط فما الظن بتفضيل العلما بالله وبأمره على
العلما بأمره فقط فان هذا واضح لا خفاء به وانما يظن بعض من لا علم له تفضيل
العباد على العلما لانهم تخيلوا ان العلما هم العلما بأمر الله فقط وان العباد هم
العلما بالله وحده فرجحوا العالم بالله على العالم بأمره وهذا حق ونحن
انما نقول ان العلما بالله والعلما بأمره افضل من العباد ولو كان العباد من العلما
بالله

بالله لان الربانيين شاركوا العباد في فضيلة العلم بالله بل زادوا عليهم
فيه وانفردوا بفضيلة العلم بأمر الله وبفضيلة دعوة الخلق الى الله وهذا يتهم اليه
وهو مقام الرسل عليهم السلام وكذلك كانت اخلفاء الرسل وورثتهم كما سيأتي
ذكره ان شاء الله تعالى وهذا القدر الذي انفردوا به عن العباد افضل
من القدر الذي انفرد به العباد من فضائل العبادات فان زيادة المعرفة بما انزل الله
على رسوله توجب زيادة المعرفة بالله والايمان به وجنس المعرفة بالله والايمان بما
افضل من جنس العمل بالجوارح والاركان ولكن من لا علم له تعظم في نفسه العبادات
على العلم لانه لا يتصور حقيقة العلم والشرف ولا قدرة له على ذلك وهو يتصور حقيقة
العبادات وله قدرة على جنسها في الجملة وهذا تجد كثيرا مما لا علم لديه يفضل الفقه
الزهد في الدنيا على العلوم والمعارف وسببه ما ذكرناه وهو انه لا يتصور معنى
العلم والمعرفة ومن لا يتصور شيئا لا يقدر في صدره عظمته وانما يتصور الجاهل بالعلم
حقيقة الدنيا وقد عظمت في صدره فعظم عنده من تركها كما قال محمد بن واسع
وقد رأى شابا فقيل له هو اخاء زهاد فقال واي شيء قدر الدنيا حتى يمدح منزهد
فيها وقال ابو سليمان الداراني قريبا من هذا المعنى ايضا فالمفتخر بالزهد
في الدنيا كالذي يفتخر بترك تبر يسير من شيء هو اقل عند الله من جناح بعوضة
وهذا احمق من ان يذكر فضلا عن ان يفتخر به ولهذا ايضا يعظم في نفوس كثير
من الناس ذكر الخوارق والكرامات ويرونها افضل مما اعطيه العلما من المعرفة
والعلم وانما يتصورون حقيقة الخوارق لانها من جنس القدرة والسلطان في
الدنيا الذي يعجز اكثر الناس عنه واما العلما بالله فلا تعظم هذه الخوارق
عندهم بل يرون الزهد فيها وانها من نوع الفتنة والمحنة وبسط الدنيا على
العبد فيخافون من الاشتغال بها والوقوف معها الانقطاع عن الله عز وجل
وقد ذكر ابو طالب المكي هذا المعنى في كتابه عن كثير من العارفين منهم ابو
يزيد ويحيى بن معاذ وسهل وذو النون والجنيد وغيرهم وقيل لبعضهم ان
فلانا يمشي على الماء فقال ان امكنه الله من مخالفة هواه فهو افضل وكان
ابو عمرو النيسابوري يوما جالسا مع اصحابه خارج المدينة وهو يتكلم
عليهم فطابت انفسهم فجاء ايل قد نزل من الجبل حتى برك بين يديه فبكى بكاء
شديدا وانزعج فسئل عن سبب بكائه فقال رابت اجتماعكم حولي وقد طابت
قلوبكم فوقع في قلبي لو ان لي شاة ذبحتها ودعوتكم فما تحكم هذا الخاطر حتى